في الأدب الشرقي

من الأدب التركي الحديث

احمد حكمت بك

كان الأدب التركي القديم يرسف في اغلال الجمود ويقطع مراحل النهضة بتأخر وبطء. فظهر أحمد حكمت بك ورفاقه امثال توفيق فكرت، خالد ضيا، جناب شهاب الدين وغيرهم ممن أحيوا الأدب التركي القديم، وكسروا قيود التعصب، واغلال البطء، وأظهروا للناس نتائج أفكارهم وثمرات عقولهم التي اقتبسوها من المغرب، وألبسوا الأدب ثوباً جديداً بنشرهم المقالات الأدبية الطريفة ونظمهم القطع الشعرية الظريفة. ولكن اضطر هؤلاء أن يقفوا حينا بنهضتهم، ويخفضوا قليلا من أصواتهم، أمام جور السلطان عبدالحميد وظلمه. وما ظهرت شمس الدستور على يد مدحت باشا حتى قام اصحابنا بنهضتهم وشرعوا يتممون مشروعهم.

يعتمد احمد حكمت بك في كتابته على الحس أكثر من الخيال، أسلوبه رقيق، ومعانيه سهلة، وأفكاره متينة. أكثر كتبه حافلة بالقصص والحكايات. يسعى حين الكتابة لأظهار حقيقة ما يكتب، وهو على عكس رفيقه خالد ضيا، قليل التكلف والصنعة. ولقد صور الأدب الغربي بصورة توافق لغته وبيئته. وله مؤلفات عديدة ومن أهم آثاره كتاب « خارستان وكلستان ».

وهذه قطعة من منثوره المثبوث بين كتبه القيمة، فان فقدت جمال الاسلوب وروعة الصنعة فجمال المعنى محفوظ على ما أظن:

« ساعةَ خَلْقِ الكَوْنْ »

كانت جلبة وقرقعة في دجور الظلام الخانق، وكان انقلاب وانفجار وسط الغيوم السوداء المزبدة الحواشي تحيط بذلك الفضاء الواسع. وكانت الرياح تعصف، والاحجار تسيل. واللهب تنشر حرارتها وتذيب الصخر والجلمود. وكانت الجبال تتقلب والبحار تفرغ وتمتلىء، والغيوم تنفجر وتنشق فتولد المئآت والالوف من النجوم التي تسبح في الفضاء كما تسبح اليراعات في الظلمات الحالكة، تارة تذوب. وأخرى تتصادم ثم تنعزل في ناحية من الفضاء اللانهائي. كانت الامواه تعلو وتنخفض، تغلي وتزبد حول تلك اللهب المتعالية والنيران المتأججة.

والكائنات تدور .... نعم كانت تدور ....

وكانت طوائف الملائكة المكلفة بتنظيم الارض تطير وتتنقل من طرف الى آخر، منها من تمسك المياه المتجمدة من حوافيها، وتدفع الجبال بأرجلها، وترتب النجوم بأيديها، وتعيد الأنهار الى فراشها، ومنها من كانت تجر (الدب الاكبر) من ذنبه، وتقود (برج الحمل) من قرنه.

والكائنات تدور .... نعم كانت تدور ....

بين تلك الغيوم والنجوم والدخان واللهيب كان ملك ضحى بنفسه يطير بسرعة البرق خلف كوكب جميل مضيء، خلف «الزهرة» الشاردة، وبينا يعيدها الى محورها الأول وقع فوق الصخور الملساء على اثر صدمة قوية كانت سبباً في فقـــده رشده. ولما استفاق من اغمائه سقطت دمعة من عينه انحدرت فوق الصخرة. لقد رأى الخالق الاعظم هذه التضحيات، ووافقته هذه الخدمات، فأراد الاتضيع ذكرى هذه الدمعة فخلق الرجل الأول « آدم ».

كانت دورة الارض تنتظم قليلا قليلا، فالانهار نامت في فراشها والبحار هدأت في احواضها، والنجوم انتظمت في محاورها، والبراكين خمدت في اماكنها.

وكانت الشمس في كل يوم تبعث الحياة على اليابسة. وكانت الرياح بين آونة وأخرى تساعد الشمس في بعث الجمال والحياة وتطرية هذه الكائنات. وكانت بذور الورود تنتثر من الآفاق وباقات زهور الحب تساقط من الغيوم، وذرات النجوم المتناثرة في تلك القبة الزرقاء تشكل مروجا من زهور البابونج « پاپاتيه » وحاشية من حواشي قوس قزح تبدو للناظر ذيل طاووس بهيج.

وقد وجدت هذه البدائع لتكون مكافأة للملائكة على جهودهم وخدماتهم. وكانت الحور يتمتعن من هذا الجمال والتجديد تارة يسرن واخرى يطرن، يسمعن اغاريد الطيور، ويبتهجن من اريج الزهور، ويترائكضن تحو ظلال الاشجار مرحات طربات، وكانت اجملهن واصغرهن، وأتعبهن جالسة وسط زهرة فتحت صدرها واوراقها لأشعة الشمس لتشعر بهذا الجمال اكثر من رفيقاتها، ولتتذوق هذه الحلاوة قبل صويحباتها. وهي كجميع